أوهـــام آثارية

الأستاذ صلاح الدين المنجد

العادلية أم الأشرفية ؟ — سنان المهندس أم سنان باشا الوالي ؟ — النصب التذكارية — قصير عمرة ، أمرو حمام أم قصر ؟ تاريخ بناء مسجد نور الدين في الموصل .

١ — العادلية أم الأشرفية :

ذكر العلامة الكبير الدكتور عبد الوهاب عزام بك في مقاله المسمى « في عيد المرى » المنشور في هذه المجلة (العدد ٦٠٠) ما نصه :

« واجتمعنا ، نحن وجماعة من علماء الشام وأدبائها أعضاء المجمع ، في دار المجمع ، وهي المدرسة الأشرفية التي بناها الملك الأشرف الأيوبي . اه » .

قلت : دار المجمع العلمي بدمشق ، هي المدرسة العادلية ، وهي غير الأشرفية . وتنسب إلى الملك العادل سيف الدين أخي صلاح الدين . كان نور الدين أول من بدأ بها ، فمات ولم يتمها . ثم شرع الملك العادل سنة ٦١٢ هـ ببنائها ، ومات سنة ٦١٥ هـ ولم يتمها . فأتمها من بعده ابنه الملك المعظم .

وقد ذكرتها أمهات الكتب كلها باسم العادلية .

أما الأشرف الأيوبي ، فلم يبن العادلية ، وإنما بنى دار الحديث الأشرفية الجوانية ، وهي « جوار باب القلعة الشرقي ، غربي العصرونية » وما تزال قائمة . ودرس بها في أيامها ابن الصلاح وأبو شامة وغيرهما .

وبنى الأشرف مدرسة ثانية هي دار الحديث الأشرفية البرانية وهي في السفح شرقي المرشدية ، وغربي الأتابكية .

(وإن شئت التفصيل فانظر من المخطوطات : النعيمي في إرشاد الطالب ، والعلموي في مختصر النعيمي ، وبدران في منادمة الأطلال ، وبدران في مختصر النادمة ، وابن طولون في تاريخ الصالحية ، وابن كنان في الروج السندسية . ومن المطبوعات : بالعربية : ابن كثير في البداية والنهاية ج ١٣ ص ٦٨ ، وبالفرنسية المباني الأيوبية بدمشق لسوفاجه ج ٢ ص ٧٦ ، ومباني دمشق التاريخية المؤلف نفسه ص ٦٢ ، وبالألمانية : وتزنجر وولزنجر E. 3. 5. يمكن مراجعة سوفير في المجلة الآسيوية : مايس وحزيران سنة ١٨٩٤ . الفصل الثالث ص ٤٢٣) .

٢ — سنان المهندس أم سنان باشا الوالي ؟

وذكر فضيلة الأستاذ الشيخ علي الطنطاوي في مقاله الممتع عن (دمشق) المنشور في العدد ٦٥٨ من الرسالة الغراء ، أن مسجد السنانية سمي نسبة إلى سنان المهندس التركي المعروف .

قلت : المعروف أنه ينسب إلى بانيه سنان باشا ، نائب الشام والوزير الأعظم . ولي الوزارة للسلطان مرادخان ، ومات سنة (١٠٠٤) هـ . وقد بدأ بعمارة مسجده هذا سنة ٩٩٥ هـ ، وتمت عمارته سنة ٩٩٩ هـ .

أما سنان المهندس ، فهو الذي وضع تخطيط التكية السليمانية التي قامت مكان القصر الأبلق الذي بناه الملك الظاهر بيبرس في المرج الأخضر .

(انظر للتفصيل : النادمة لبدران ، ومختصر النادمة له ، وذيل العلموي للعدوي ، وكتاب الباشات والقضاة لابن جمعة ، وولزنجر ووتزنجر D. 5. 8 ، ومباني دمشق التاريخية لسوفاجه ص ٧٨ ، ٨٤) .

٣ — النصب التذكارية :

وذكر الدكتور زكي محمد حسن في مجلة الكتاب الزاهرة في مقال له عن قصور الأمويين أنه لا يوجد نصب تذكارية لتخليد انتصارات العرب .

قلت : في دمشق ، فوق ذروة من ذرى قاسيون ، بناء مربع مفتوح الجوانب ، فوقه قبة . كانت من متنزهات الصالحية ، لاشرافها على الربوة ، وعلى دمشق ، اسمها قبة النصر ، بناها نائب الشام برقوق الذي قاتل سوار بك فأخذه غدراً ، ثم أقام هذه القبة سنة ٨٧٧ هـ ذكرى انتصاره ، وقد ذكر هذا ابن طولون .

(انظر للتفصيل : تاريخ الصالحية لابن طولون ، الروج السندسية لابن كنان ، المباني التاريخية بدمشق ص ١٥ لسوفاجه ولزنجر ووتزنجر Dn Iv a ويمكن مراجعة :

Sauvaget un Monument Commémoratif d'époque Mamlouke dans les environs de Damas

٤ - قصير عمرة ، أهو حمام أم قصر ؟

وأدخل الدكتور زكي محمد حسن ، في مقاله عن قصور الأمويين ، المنوه به في الفقرة السابقة ، أدخل قصير عمرة ، وحمام الصرخ في عداد القصور .

أما حمام الصرخ ، فاسمه حمام ، ولا محل لدسه بين القصور ، في قصير عمرة ، فما هو ؟

لقد أصر الدكتور على جعله أو سرده مع القصور لأمرين :

١ — لأن علماء الآثار ساروا على ذلك .

٢ — لأن فيه ، وفي حمام الصرخ قاعات استقبال (؟)

قلت : قول الدكتور لا يطمئن إليه ، فالرجل ذو الفكر الناقد لا يجعل الحمام قصراً ولو قال ذلك أكبر العلماء الأجانب . لأن قولا كهذا يجدر التروي فيه قبل نقله . فالدراسات الآثارية الحديثة أجمعت على جعل قصير عمرة حماماً لا قصراً ، وأن أمام هذا الحمام كان قصر فتهدم واختفت معالمه . (انظر مجلة المجمع العلمي بدمشق . المجلد السابع عشر مايس حزيران سنة ٩٤٢) .

إن تخطيط قصير عمرة ، وحمام الصرخ يدل على وجود غرفة كبيرة واسعة في كل منهما ، وقد ظن بعضهم أنها غرفة ستقبال (!) ونقل الدكتور هذا الظن . أغرفة استقبال في حمام ؟ أمر عجب . على كل أنا أشك فيما نقله الدكتور ، وأشك أن تكون غرفة استقبال ، ولن يجد الدكتور أي نص قديم صحيح يثبت ما ذهب إليه ، ويؤيد أن خليفة استقبل الناس في حمام .

والأقرب للعقل أن تكون هذه الغرفة الواسعة للاستراحة بعد الاستحمام أو للهو واقتناص اللذة قبل الاستحمام ، أو للأمرين معاً ، فالملوك لا يستقبلون في الحمامات .

إن وجود هذه الغرفة الواسعة في الحمام لا يجعل الحمام قصراً ، فالحمام الأموي الذي كشف في جبل سيس في بادية دمشق ، يشبه تخطيطه قصير عمرة والصرخ تماماً . وبرغم الغرفة الواسعة فيه لم يقل أحد إنه قصر ولا جعله في عداد القصور (انظر : Sauvaget les ruines Omayyades du djebel Seis) .

وفي دمشق حمام اسمه حمام الروجي ، فيه غرفة واسعة تشبه تماماً غرفة قصير عمرة ، وقد لاحظ هذا ايكوشار ، ومع ذلك فلم يجعل أحد هذه الغرفة غرفة استقبال أو يجعل الحمام قصراً . وأنت واجد مثل هذا في أغلب حمامات دمشق (انظر : Ecochard et lecoeur les Bains de Damas) .

على أن ما يؤيد ما ذهبنا إليه ، من أن هذه القاعة الواسعة في قصير عمرة ليست للاستقبال ، وجود مشاهد مثيرة على الحيطان ، لا يمكن أن يضعها خليفة في قاعة يستقبل بها الناس . فمن هذه المشاهد : مشهد امرأة ذات قامة فارعة نصفها الأعلى عار رفعت يديها فوق رأسها المحاط بضفائرها ؛ ومشهد آخر يمثل امرأة عارية تماماً يبدو جسمها كله وهي ترقص وتقوم بحركات تظهر فتنة جسمها . ومشهد ثالث يمثل امرأة مستلقية في سريرها ، وضعت يدها على ذقنها وأخذت تنظر بيأس . ومشهد رابع يمثل امرأة عارية ، يخفق ثوب شفاف عند سيقانها ، وهي مستندة إلى نضد ، كفها اليسرى على ذقنها ، تحلم وترنو إلى رجل في الطرف الثاني ، مستلق يتأملها أيضاً ويرنو إليها ، وغير ذلك . (انظر : Gaussen et Savignac Mission Archeologique eu Arabie 111 Les Châteaux Arabes Qeseir Amra Haraneh et Tuba P P 87—92.

وانظر هذه المشاهد مصورة في ملحق هذا الجزء) .

فهذه المشاهد المثيرة لا توضع إلا في مكان يلهو الخليفة به مع قيانه قبل الاستحمام أو بعد الصيد ، وهذا أقرب للعقل لو تفكر المرء فيه .

وعلى هذا يكون إدخال قصير عمرة وحمام الصرخ في عداد القصور غير صحيح .

٥ — تاريخ بناء مسجد نور الدين في الموصل :

في المقال الجيد الذي كتبه معالي الدكتور داود الجلبي عن بدر الدين لؤلؤ في مجلة سومر (ج ١ ، م ٢) — التي تهيئ مديرية الآثار العراقية عليها — إشارة إلى تاريخ بناء مسجد نور الدين محمود بن زنكي في الموصل .

فقد ذكر الدكتور أن المسجد كملت عمارته سنة ٥٨٦ هـ .

قلت : إن نور الدين توفي سنة ٥٦٩ هـ بدمشق . والمصادر تشير إلى أن نور الدين أمر بعمارة مسجده في حياته ، وما أدري إن كان المسجد كملت عمارته بعد سبع عشرة سنة من وفاة نور الدين ؟ ولعل الصواب سنة ٥٦٨ أي بتقديم الثمانية على الستة ، ولعل الدكتور يضف لنا هذا المسجد ، ويحدثنا عنه .

دمشق — صلاح الدين المنجد